حرف القاف

قاسم الشَمَّاعي الرفاعي = قاسم بن محمود بن علي البعلبكي (ت ١٤٠٨ هـ).

بلقاسم فتّاح(*)

(١٣٧٣ ـ ١٤١٥ هـ)

عضو حركة «النهضة الإسلامية» في الجزائر.

كان يدرِّس مادة «القانون الإسلامي».

وجد مقتولاً في «شليف» جنوب غرب، وكان قد خُطف قبل أسبوع من مقتله، في شهر رمضان.

قاسم الشماعي الرفاعي(**)

(١٣٤٣ ـ ١٤٠٨ هـ)

بمناسبة ذكرى وفاة العلامة الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي، واعترافًا بفضله وسعة علمه، نسلّط الضوء على حياة هذا الرجل الذي خدم المسلمين والأمة خطيبًا مفوّهًا، وفقيهًا عالمًا، ومرشدًا وواعظًا كبيرًا وفارسًا من فرسان الدفاع عن حدود الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والشيخ قاسم الشماعي الرفاعي هو قاسم أبو الخير، وأبو محمود، ابن العلامة السيد الشيخ محمود ابن السيد البركة المعمر علي، ابن السيد علي، ابن السيد أحمد، ابن السيد مصطفى، ابن السيد محمود، ابن السيد أحمد الملقّب بالشمع، أو الشماعة أو بياء النسبة الشماعي، ابن العلامة السيد محمد شمس الدين الصيادي الرفاعي.

ولد في بعلبك عام ١٩٢٤ م، ودخل مدرستها الرسمية الوحيدة في المنطقة وأتمّ الدراسة فيها، ثم انتقل مع والده إلى دمشق لتسجيله في معهد العلوم الشرعية الإسلامية للجمعية الغراء بدمشق، وكان عمره أحد عشر عامًا حين ارتدى العمامة البيضاء والجبة السوداء تنفيذًا لرغبة والده، وقد حاز على الإجازة الشرعية سنة ١٩٤٢ م من الدرجة الأولى، حيث صدر مرسوم تعيينه مدرِّسًا للفتوى في بعلبك ولم يبلغ الثامنة عشرة من عمره.

بدأ مسيرة الدرب الطويل مع القلم في نشر أفكاره وآرائه والتعريف بجوهر الإسلام، وفي عام ١٩٤٧ م وضع مؤلفه الأوّل «**الدروس الوعظية في الآداب النبوية**» الذي وزعه مجانًا رغبة منه في تعميم الاستفادة، ثم انقطع فترة طويلة عن التأليف واتجه نحو التدريس والإمامة والوعظ.

وفي عام ١٩٨٣ م عاد إلى التأليف فأصدر كتاب «**مختارات من السنة**»، ثم كتاب «**بعلبك في التاريخ**». (١٩٨٤ م)، وكتاب «**المختار في المواعظ والأحكام والأخبار**» (١٩٨٦ م).

وأما الكتب التي قام بتحقيقها ووضع مقدمات جديدة لها فهي:

- «الطب النبوي» (١٩٨٦ م).
- «تاريخ الخلفاء» للإمام جلال الدين السيوطي (١٩٨٦ م).
- «أقضية رسول الله ﷺ». تأليف عبد الله بن محمد

(*) الحرية ع ٢١٨٠ (١٤١٥/٩/١٦ هـ).

(**) خليل برهومي، جريدة اللواء البيروتية ـ الجمعة ٧/٢٣/ ١٩٩٩ السنة ٣٧ ـ العدد ٩٦٤٣.

ابن فرج المالكي القرطبي (١٩٨٧ م).

- «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (١٩٨٧ م).

- «شرح ابن عقيل» (جزءان) مع إعراب الألفية والتعليق عليها (١٩٨٧ م).

- «صحيح البخاري» (٩ أجزاء) وصدر عام ١٩٨٧ أيضًا.

- «فتاوى النساء» لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٩٨٧ م).

وكتب أخرى ما زالت حتى الآن قيد الطبع ومنها «قصص من القرآن» و«كتاب الفتاوى» وسواهما.

● حرب على البدع

وكان رحمه الله محاربًا للبدع داعيًا إلى الرجوع دومًا إلى المصدرين القرآن الكريم والسنة النبوية، ومن بين تلك البدع الذكر وراء الميت. وإحياء ذكرى أربعين المتوفى، وإقامة المآب المكلفة لهذه المناسبة، وتشييد القبور بالرخام والموازييك أو الإسمنت، أو إقامة أسوار حول القبور، وغير ذلك من البدع والضلالات.

وقد ساهم الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي في تأسيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بعلبك مع نفر من إخوانه، وتسلّم رئاستها بعد وفاة رئيسها نائب بعلبك الدكتور مصطفى الرفاعي، وقد سارت الجمعية في عهده خطى متطورة ورُفع بناؤها إلى ثلاث طبقات، إضافة إلى بناء مسجد بجانب المدرسة أطلق عليه اسم جامع الملك فيصل، ومدرسة أخرى مؤلفة من أربع طبقات.

● الدعوة إلى الوحدة والتعايش

وكان رحمه الله خطيبًا مفوّهًا ومشاركًا أول في الاحتفالات التي تقام في المناسبات الوطنية كعيد الاستقلال وعيد الجيش والمناسبات القومية، وكان يطالب دائمًا بجعل مدينة بعلبك محافظة مستقلة، كما شارك في العديد من الندوات والمحاضرات، وأصدر البيانات التي تدعو إلى التعايش والوحدة ونبذ الأحقاد والدعوة إلى توجيه الطاقات لقتال العدو الإسرائيلي الغاشم.

وقد رفض الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي خوض الانتخابات النيابية في المنطقة، وذلك لاقتناعه أن من يريد أن يخدم وطنه يستطيع ذلك دون الدخول في متاهات السياسة ودهاليزها، ولاقتناعه من جهة أخرى بأن الدور الذي كان يلعبه كزعيم للطائفة السنية في بعلبك يجعله في وضع أفضل لخدمة المنطقة مما قد يفعله لو خاض غمار السياسة والانتخابات.

● اهتمامه بالأوقاف

وكان الشيخ الشماعي الرفاعي دائم التفكير والاهتمام بأوقاف بعلبك وآثارها الإسلامية، وكان همّه الأول إيجاد منفذ مالإنماء ريع الأوقاف، وهذا ما دفعه إلى إقامة مشروع بناء محلات تجارية سدت عجزًا لا بأس به في صندوق الأوقاف، كما قام بترميم عدد من المساجد في المدينة، منها مسجد الحنابلة، وأشرف على المساجد الأثرية في المدينة، وكان هناك ثمة اتفاق مبدئي بينه وبين مهندس الآثار السيد «جاليانه» بهدف ترميم المسجد الأموي الكبير الذي توقّف بسبب انهيار الوضع الأمني في لبنان، وعمل على إيجاد دار للفتوى في بعلبك.

● اشتغاله بالتدريس والإذاعة

وقد انتقل الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي إلى بيروت عام ١٩٦٩ م ومارس التدريس في مدارسها الرسمية الثانوية وفي المسجد العمري الكبير، وكلّف بالتدريس والخطابة في السجون.

وقد فتح قلبه للناس، ولذلك فتح الله قلوب الناس على محبته ومتابعة أحاديثه الإذاعية والتلفزيونية ومقالاته الصحفية، ومتابعة برامج الفتاوى التي كان يوضّح فيها للناس أحكام الشرع والفقه، ويجيب على استفساراتهم وأسئلتهم بطريقة سلسة سهلة بعيدة عن التعقيد والمواربة.

وظلّ الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي يخدم الإسلام وأهله إلى أن انتقلت نفسه المطمئنة إلى ربها راضية مرضية في الخامس عشر من تموز عام ١٩٨٨ م عن عمر يناهز الرابعة والستين عامًا، وكانت آخر كلماته وهو مستقبل القبلة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

ونظرًا لمكانة الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي فقد أنشده عدد من الشعراء أبياتًا أبنوه فيها وذكروا فيها مزاياه الطيبة وخصائله الكريمة، ومن بين تلك الأبيات أبيات نظمها شيخ المذيعين المرحوم الأستاذ شفيق جدايل الذي قال فيه:

بوركت يا شيخ الهدى الشماعي
أنست فيك مناقب الأوزاعي
فكلاكما من بعلبك هفا إلى
بيروت، مهد العلم والإشعاع
ليضيف أنوارًا إلى أنوارها
ويزيد فيها روعة الإبداع
أرسلت في الآفاق آيات السنا
بالوعظ والإرشاد والإقناع
فإذا عظاتك يا رفاعي متعة
وإذا دروسك فتنة الأسماع